

تفسير البحر المحيط

@ 462 % (لو نال حي من الدنيا بمنزلة % .

أفق السماء لنالت كفه الأفقا .

%) .

{ حم * تَنْزِيلُ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَّا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا
تَدْعُونَا إِلَيْهِمْ وَفِعْءِ آذَانِنَا وَقُرْ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ
فَاعْمَلْ إِن نَّسِنَا عَامِلُونَ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى
إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِمْ وَاسْتَغْفِرُوا
وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
هُمْ كَافِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ
غَيْرُ مَمْنُونٍ * قُلْ * أَتُؤْتُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي
يَوْمَ مَيِّتٍ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ
فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَاطَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ النَّاسِ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ
دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا
طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ * سَمَاوَاتٍ * فِي يَوْمٍ مَيِّتٍ وَأَوْحَى فِي كُلِّ
سَّمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ
تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } . .

هذه السورة مكية بلا خلاف ، ومناسبتها لما قبلها ، أنه قال في آخر ما قبلها : {
أَفَلَا يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ } إلى آخرها ، فضمن وعيدا وتهديداً وتقريعاً لقريش ،
فأتبع ذلك التقرير والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر ، فذكر أنه نزل كتاباً مفصلاً آياته ،
بشيراً لمن اتبعه ، ونذيراً لمن أعرض عنه ، وأن أكثر قريش أعرضوا عنه . ثم ذكر قدرة
الإله على إيجاد العالم العلوي والسفلي . ثم قال : { فَإِنَّ أَعْرَضُوا وَقُلْ
أَنْذَرْتُكُمْ مَّاعِقَةً } ، فكان هذا كله مناسباً لآخر سورة المؤمن من عدم انتفاع
مكذبي الرسل حين التبس بهم العذاب ، وكذلك قريش حل بصناديدها من القتل والأسر والنهب
والسبي ، واستئصال أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم) ما حل بعباد وثمود من استئصالهم .

روي أن عتبة بن ربيعة ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليعظم عليه أمر مخالفته لقومه ، وليقبح عليه فيما بينه وبينه ، وليبعد ما جاء به . فلما تكلم عتبة ، قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : { حم } ، ومر في صدرها حتى انتهى إلى قوله : { فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ } ، فأرعد الشيخ ووقف شعره ، فأمسك على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم) بيده ، وناشده بالرحم أن يمسك ، وقال حين فارقه : والله لقد سمعت شيئاً ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي . { تَنْزِيلَ } ، رفع على أنه خير مبتدأ محذوف ، أي هذا تنزيل عند الفراء ، أو مبتدأ خبره { كِتَابٌ فُصِّلَتْ } ، عند الزجاج والحوفي ، وخبر { حم } إذا كانت اسماً للسورة ، وكتاب على قول الزجاج بدل من تنزيل . قيل : أو خبر بعد خبر . { فُصِّلَتْ آيَاتُهُ } ، قال السدي : بينت آياته ، أي فسرت معانيه ، ففصل بين حرامه وحلاله ، وزجره وأمره ، ووعدته ووعدته . وقيل : فصلت في التنزيل : أي لم تنزل جملة واحدة . قال الحسن : بالوعد والوعيد . وقال سفيان : بالثواب والعقاب . وقال ابن زيد : بين محمد صلى الله عليه وسلم) ، ومن خالفه . وقيل : فصلت بالموافق وأنواع ، أو آخر الآي ، ولم يكن يرجع إلى قافية ولا نحوها ، كالشعر والسجع . وقال أبو عبد الله الرازي : ميزت آياته ، وجعل تفاصيل معان مختلفة ، فبعضها في وصف ذات الله تعالى ، وشرح صفات التنزيه والتقديس ، وشرح كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته ، وعجائب أحوال خلقه السموات والكواكب ، وتعاقب الليل والنهار ، وعجائب أحوال النبات والحيوان والإنسان ؛ وبعضها في أحوال التكليف المتوجهة نحو القلب ونحو الجوارح ، وبعضها في الوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، ودرجات أهل الجنة ودركات أهل النار ؛ وبعضها في المواعظ والنصائح ؛ وبعضها في تهذيب الأخلاق ورياضة النفس ؛ وبعضها في قصص الأولين وتواريخ الماضين . وبالجمله ، فمن أنصف ، علم أنه ليس في بدء الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم والمباحث المتباينة مثل ما في القرآن . انتهى . .

وقرء : فصلت ، بفتح الفاء والصاد